المبحث الرابع

استهلاك (تعاطي) المخدرات

طلب المستهلكين هو المحرك الرئيسي للانتاج في اقتصاديات السوق. والانسان يستهلك السلعة أو الخدمة لأنها تحقق له منفعة (أي اشباعا) من خلال تقديره الذاتي بصرف النظر عن تقدير الآخرين لهذه المنفعة. وهو يوازن في هذا الصدد بين الاشباع المتحقق له من استهلاك الوحدات المختلفة من هذه السلعة أو تلك الخدمة وبين الألم الذي يتحمله ممثلا في الانفاق علي هذا الاستهلاك أي في ثمن الوحدات المستهلكة. ويتوقف الاستهلاك من سلعة أو خدمة علي عوامل عديدة منها الدخل والثروة وثمن السلعة وأهميتها لدي المستهلك ووجود سلع منافسة لهذه السلعة في استهلاكها أو مكملة لها وأثمان هذه السلع المنافسة أو المكملة.

وفي سلعة كالمخدرات بمختلف أنواعها يتمثل اشباع المستهلك (المتعاطي أو المدمن) (٣٢) فيما يتصوره من آثار لها علي تحسن حالته المزاجية أو تهدئته أو تنشيطه أو علاجه من بعض الأمراض. ومع زيادة الدخل أو الثروة تزداد امكانية الاستهلاك من المخدرات،ويتم التحول من استهلاك الأنواع العادية من المخدرات كالحشيش إلي الأنواع الأندر كالكوكايين والهيروين. ومرونة الطلب السعرية علي المخدرات ضعيفة أو منعدمة خاصة للذي بلغ مرحلة الادمان للمخدر إذ أنه لا يستطيع الفكاك من أسره ولا يملك أن يتوقف عن استهلاكه أو يقلل من الكمية المستهلكة اذا ما ارتفع سعر المخدر. واذا كانت مرونة الطلب السعرية للمخدرات ككل منعدمة أو ضعيفة الا أنها ليست كذلك لأنواعها المختلفة، فارتفاع ثمن أحد أنواع المخدرات بالنسبة للأنواع الأخري قد يدفع المستهلكين من أصحاب الدخول المتوسطة إلي التخلي عن هذا النوع أو الصنف واستبداله بغيره من أصناف المخدرات الأخري الأقل ثمنا شريطة أن يكون هذا التحول ممكنا من الناحية الفسيولوجية.

وثمة زيادة كبيرة في استهلاك المخدرات علي اتساع العالم حيث انتشر تعاطيها في البلدان الصناعية المتقدمة والبلدان المتخلفة وامتدت الي كل الأعمار وكل الشرائح الاجتماعية والمهنية، أما في جميع المجتمعات القديمة التي عرفت المخدرات وتعاطتها فقد كان التعاطي محدودا بالنخبة الاجتماعية والثقافية وبالطقوس والمناسبات الدينية.

والغالبية الساحقة من ضحايا الادمان علي المخدرات هم من أبناء البلدان المنتجة والمصدرة أكثر مما هم من أبناء البلدان الأوربية الغربية والأمريكية الشمالية المستوردة والمستهلكة. وتشير احصاءات الأمم المتحدة إلي أن عدد متعاطي الهيروئين وهو من أشد المخدرات تركيزا يصل إلي ما يلي:[٣٣]

أوربا الغربية حوالي ٦٠٠ ألف .

الولايات المتحدة الأمريكية حوالي ٧٠٠ ألف .

العالم الثالث حوالي ٣ر١٢٥٠٠٠ .

اجمالي مدمني الهيروئين في العالم حوالي ٤ر٨٠٠٠٠٠ .

أي أن أكثر من ثلثي مدمني الهيروئين في العالم هم من أبناء العالم الثالث لا سيما في الهند والباكستان وتايلند وماليزيا وايران. وذلك هو أيضا التوزيع النسبي لمتعاطي الكوكائين والمنشطات المماثلة وإن كانت آسيا تخلي مكانها في هذا الصدد لأمريكا الجنوبية. وينتشر الأفيون في الشرق الأقصي وخاصة في الصين. ويتم تعاطي المورفين وفقا لطرق مختلفة حسب التقاليد والعادات السائدة في البلدان المختلفة. وليس من السهل تدخين الأفيون الخام مباشرة بالغليون أو بالوسائل المشابهة ولذلك يهيأ بطرق خاصة تتناسب مع الاستعمال. ويمكن تناول الأفيون أو مستحضراته عن طريق الطعام أو الشراب حيث ينتشر آكلو الأفيون كثيرا في آسيا الوسطي ويدعون باسم "التریاقيين" أو "الأفيونيين" .

وكان تعاطي المورفين أبرز صورة للادمان علي المخدرات بصورة عامة مع نهاية القرن التاسع عشر. وتدل الاحصاءات علي أن ٦٠٪ من مدمني المورفين يتناولون ما بين نصف إلي واحد ونصف جرام يوميا في المتوسط. واعتبر الغربيون الهيروين فتحا جديدا في عالم النشوة والهلوسة، ففي الوقت الذي كان فيه المدمن يجري وراء الوصفات الطبية والحقنات المتكررة والصعوبات الشديدة في الحصول علي المورفين أو تناوله جاء الهيروين ليلبي حاجة المدمنين بانتشاره الواسع في سوق التهريب وبسهولة تناوله واستعماله استنشاقا وإذابة في الماء وحقنا مباشرا . ومن بين جميع المركبات الأفيونية يأتي الهيروئين في المقدمة حيث يسبب شعورا عارما بالنشوة. ويحصل هذا الشعور أيضا من جراء حقن مزيج من أحد المركبات الأفيونية مع الكوكايين أو الأمفيتامين.

وقد تزايد الادمان علي الهيروئين منذ صيف عام ١٩٦٩م. وفي الولايات المتحدة الأمريكية بلغ عدد المدمنين علي المخدرات عام ١٩٦٥ حوالي ٥٧ ألف حالة كان من بينهم ٩٨٪ يتعاطون الهيروئين. وكانت نسبة النساء فيهم ٢٠٪.وفي بريطانيا أحصيت ١٢٧٢ حالة إدمان ما بين عام ١٩٤٧ و١٩٦٧كان منهم ٨٩٠ فقط في عام ١٩٦٧. أما في فرنسا فبلغت الحالات المشاهدة خلال عامي ١٩٦٩ و١٩٧٠ حوالي ٢٩٠٠ حالة زادت إلي ١٠٩٥٨ حالة عام ١٩٨٠ و ١٣٨٥٠ حالة عام ١٩٨١ (٣٤).

والجدول التالي يوضح تطور أعداد المدمنين علي الهيروئين في مجموعة من الدول ما بين عامي ١٩٥٥و ١٩٨٠.

جدول (٢) تطور ادمان الهيروئين

الدولة	المدمنون عام ١٩٥٥	المدمنون عام ١٩٨٠
المانيا الاتحادية	٥٣٧٨	٥٠٠٠٠
كندا	٣٤٢٥	٦٠٧٤٧
بريطانيا	٣٥٥	٢٠٠٠٠
هونج كونج	٩٠٠٥	٨٠٠٠٠
ايطاليا	١٦٥١	١٠٠٠٠
النرويج	٧٠٠	٦٠٠٠
الولايات المتحدة الأمريكية	١٠٨٨٢	٦٠٠٠٠٠
تايلند	١٨٢٢٦	٣٥٠٠٠

المصدر: د/ محمد محمود الهواري ؛ مرجع سابق،ص ٥٣.

ولم يعد الادمان قاصرا علي الأفيون والقلويدات التي يشتمل عليها وانما تعدي ذلك الي ادمان مركبات جديدة اصطناعية من مصادر كيميائية مختلفة لها تأثيرات مشابهة للأفيونيات المعتادة (أفيونيات اصطناعية). أما الحشيش المستخرج من نبات القنب الهندي فقد عرف منذ أزمنة بعيدة,وصنع رهبان الهند منه أشربة سحرية يستعملونها في التأثير علي الناس في الاحتفالات الدينية المنحرفة. ومع تطرح السنين انتقل استعمال هذا النبات إلي عامة الناس وانتشر من الهند الي الشرق الأوسط (ايران، تركيا، مصر ... الخ). ومن ثم إلي شمال افريقيا فأسبانيا فأوربا الوسطي والشمالية فأمريكا. ويتم ادمان الحشيش إما عن طريق التدخين أو عن طريق الشرب أو عن طريق الأكل.

وتعتبر أمريكا أول المستهلكين للحشيش في العالم يليها انجلترا فهولندا فالدول الاسكندنافية حيث يعتبر تعاطي الحشيش في هذه البلاد أمرا منتشرا بين الشباب حيث ٤٠٪-٥٠٪ من الشباب يتعاطون تدخين الحشيش,وبقدر عدد لفائف التبغ الممزوجة بالحشيش التي تدخن في أمريكا بما يزيد عن ٦٠ مليار سيجارة سنويا.

ويعد الحشيش وتعاطيه الخطوة الأولي نحو تعاطي المخدرات ، وقد ذكرت بعض الاحصاءات أن أكثر من ثلثي المدمنين علي الهيروتين مروا اولا بطريق الحشيش. وأكثر متعاطي الحشيش هم من الرجال(٣٥).

وفي بلدان أمريكا الجنوبية يدمن المواطنون العاديون أوراق الكوكا (التي يستخرج منها الكوكائين) مضغا حيث تعتبر من المنبهات الشديدة وتزيل الاحساس بالتعب والجوع والعطش والبرد. وتساعد الطبقات الشغيلة البائسة في تلك البلاد علي تحمل الظروف المعيشية المتدنية التي يحيونها والأعمال المضنية الشاقة التي يمارسونها.ويجد بعضهم في أوراق الكوكا ما يجده الآخرون في جوزة الكولا. وتدل الاحصاءات أن درجة الأمية في هذه البلاد ترتبط ارتباطا وثيقا بكمية أوراق الكوكا المستهلكة. أما ادمان الكوكايين الذي يتراوح بين جرام يوميا للمدمن المبتديء وخمسه إلي عشرة حرامات للمدمن المزمن، فيعتبر أحد المخدرات المنتشرة بين الطبقات الراقية المترفة والفنانين المشهورين. وقد تعاطاه في الماضي كثير من مشاهير العالم كسيجموند فرويد والبابا ليون الثالث عشر. ويتزايد باضطراد استهلاك الكوكايين حيث تقدر الهيئة الدولية لمراقبة المخدرات أن استهلاك الكوكايين في عام ١٩٨٥ قد زاد عن ٣٠ طنا (٣٦).

وفي أمريكا الوسطي والجنوبية مركبات نباتية يستهلكها المواطنون منذ القدم وتتمتع بخواص مهلوسة. ومنذ سنوات عديدة بدأ استهلاك هذه المركبات من قبل المدمنين . ومن أقدم وأشهر هذه المركبات "الميسكالين" المنتشر في المكسيك والذي استعمله الهنود قبل الغزو الأسباني بعدة قرون ولا يزال يستعمل حتي أيامنا من قبل عامة الناس في أمريكا الوسطي.ويصنع هذا النبات أكلا (طريا أو جافا) ولا يطبخ أبدا ، ويساعد علي تحمل التعب والجوع والعطش(٣٧).

والحاجة إلي المنومات قديمة جدا الا أن الادمان عليها لم يظهر إلا مع تطور الصناعة الدوائية حينما لاحت في الأسواق أعداد وفيرة ومتنوعة من المركبات المنومة والمهدئة ألهبت وسائل الاعلان خيال الناس تجاهها وساعدت الحياة المعاصرة بأرقها وقلقها على الحاجة اليها.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية يتناول أكثر من نصف سكانها المنومات والمسكنات،وكثير منهم يدمنون علي تناولها. وقد استهلك الأمريكيون في عام ١٩٨٥ مثلا من الأدوية المنومة والمسكنة ما تزيد قيمته عن ٤٨٥ مليون دولار. وفي سويسرا باعت الصيدليات في عام ١٩٨٥ أكثر من ٣٠٠ مليون حبة من المسكنات. وقد تبين من خلال دراسة قام بها ١١٠٠ صيدلي و١٢٠٠ مستودع للأدوية في سويسرا أن ما يزيد عن عشرين ألف شخص يدمنون المنومات والمسكنات وأن الواحد منهم يستهلك ما بين ١٠-٢٠ حبة يوميا (٣٨).

والعجيب في الأمر أن استهلاك هذه الأدوية يبرز في مستوي الشباب المراهق أكثر منه في الكهول والشيوخ الذين عانوا من صنوف الحياة ما عانوه،أي أن الحالة حالة إدمان وليست معالجة دوائية.أما "الأمفيتامينات" -التي دخلت في المداواة منذ حوالي نصف قرن حيث خواصها النافعة للقدرة والمساعدة علي النشاط العصبي والفكري - فقد ازداد الطلب عليها من قبل رجال الأعمال والسياسيين المنهكين والطلاب خاصة في فترات الامتحانات وبعض الرياضيين قبل دخولهم في المباريات، كما أن كثيرا من النساء يلجأن الي بعض هذه المركبات لمعالجة زيادة الوزن نظرا لأنها تزيل الاحساس بالجوع. واذا كان المدمنون علي الأفيون مثلا ينشدون الراحة والسكينة والاستسلام إلي الاسترخاء الطويل فان متعاطي "الأمفيتامينات" ينشدون اللذة الصارخه والتنبه المفرط .

وقد اجتاح هذا النوع من الادمان الدول الاسكندنافية (السويد والنرويج وفنلندا)،وزاد عدد مدمني الأمفيتامين في استوكهلم على النحو التالى :-(٣٩)

جدول رقم ٣

السنة	عدد المدمنين.
١٩٥٤	٢٠٠
١٩٦٠	١٠٠٠
١٩٦٥	٤٠٠٠
١٩٦٨	١٠٠٠٠
١٩٨٠	٢٥٠٠٠

ولم يقتصر ادمان هذه المركبات علي البلاد الاسكندنافية وانما تجاوزها إلي الولايات المتحدة واليابان. فالمكتب الامريكي للمخدرات أوضح أن أكثر من نصف مليون أمريكي يتعاطون المركبات الباربيتورية ومشتقات الأمفيتامين. والمدمنون علي الأمفيتامينات في اليابان تتراوح التقديرات بشأن عددهم ما بين ستمائة ألف وأكثر من مليون،ثلثاهم ينحصر عمرهم ما بين العشرين والتاسعة والعشرين وربعهم لم يبلغ بعد التاسعة عشرة من عمره.

وينتشر في القارة الأفريقية اساءة استعمال الأمفيتامينات وكذلك في استراليا وألمانيا الاتحادية .

وبعد أن تناولنا الطلب علي المخدرات بأنواعها المختلفة (استهلاكها) تعاطيا أو ادمانا لما تحققه لمستهلكيها من اشباع يتمثل في اعتقادهم أن المخدر يفجر طاقاتهم الذهنية أو الجنسية،أو هروبا من واقع مؤلم أو بيئة بائسة أو علاجا لأمراضهم أو انغماسا في ملذات حياتهم. فانه يمكن القول بأن ثمة فرقا كبيرا في استهلاك

المخدرات بين البلدان المتقدمة وبلدان العالم الثالث ، فعلي حين أن تعاطي المخدرات في العالم المتقدم لا يزال محصورا- بحكم غلاء ثمنها- بأعضاء الطبقات العليا أوالمتوسطة أو بالفئات المهمشة اجتماعيا أو الشباب المتخلفين في مسارهم الدراسي، فانه يأخذ في بلدان العالم الثالث طابعا شعبيا عاما، ففي بعض بلدان أمريكا اللاتينيه تحولت ورقة الكوكا منذ عهد الاحتلال الاستعماري لها إلي أداة بديلة للتعامل النقدي، فعمال المناجم من الهنود الآنديين كانوا يتلقون أجورهم بأوراق الكوكا (٤٠). وفي اليمن يمثل القات آفة قومية، فهذه النبتة التي أدخلها في مطلع القرن الرابع عشر أحد أمراء مدينة تعز من الحبشة المجاورة ظلت علي مدي خمسة قرون محصورة الاستهلاك بالنخبة الحاكمة والمثقفة،ولا سيما في أوساط المتصوفين والشعراء ممن يحتاجون باستمرار إلي قدح خيالهم. ولكن ابتداء من منتصف القرن العشرين عم مضغ القات الطبقات الشعبية وشمل حتي النساء والأولاد وأناخ بثقيل وطأته علي ميزانيات الأسر، فالمضغة الواحدة من القات الطازج قد تكلف أجرة يوم عمل كامل. وقد أورد المكتب العربي لشئون المخدرات أن قيمة القات المستهلك من المواطنين تبلغ حوالي ألف مليون ريال. وأكد تقرير صدر عن "منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية في باريس" أن بعض بلدان العالم الثالث صار لديها معدلات للمدمنين بالقياس لعدد سكانها يفوق المعدل في الولايات المتحدة الأمريكية، ففي ماليزيا يقدر عدد المدمنين علي المخدرات واحدا من كل ١٧٠ شخصا في حين يبلغ المعدل في الولايات المتحدة واحداً لكل ٤٦٠ شخصا (٤١).

والدول المنتجة للأفيون والهيروين (ايران ، افغانستان، باكستان، الهند ، نيبال)تستهلك الجزء الأكبر من هذين المخدرين، إذ تنتج خمسين طنا من الهيروين تستهلك منها خمسة وثلاثين طنا. وكذلك الأمر بالنسبة لجنوب شرق آسيا (بورما ، لاوس، تايلند) التي تستهلك الجزء الأكبر من انتاجها اذ لا تصدر من انتاجها الذي يبلغ حوالي ١٥٥٠ طنا من الأفيون إلا سبعة أطنان ونصف من الهيروين. (٤٢).